

1

الفصل الأول

نشأت العالم الإسلامي وتطوره

1-1 تحديد مفهوم العالم الإسلامي

تختلف الآراء بين الباحثين في تحديد مفهوم العالم الإسلامي فهناك من يرى أن العالم الإسلامي يشمل كل بقاع الأرض التي يقطنها مسلمون بغض النظر عن أعدادهم أو نسبهم المثوية إلى بقية السكان، ويبدو أن هذا المفهوم يعتمد على التفسير اللغوي الذي يعني أن العالم هو الأرض وما عليها من مخلوقات، أن العالم الإسلامي وفق هذا المفهوم عالم شائع يضم كل المعمورة، وإذا ما أخذنا بهذا القول لا يمكن تطبيق منهجا علميا حيث يصعب وضع حدود مقبولة ووضع معايير وأسس علمية في الكشف عن حجم المسلمين بالعالم المترامي الأطراف، ولذا فإنه لا بد من التحديد الدقيق الذي هو ضرورة من ضرورات البحث العلمي

1-1-1 معايير تحديد العالم الإسلامي

- هناك عدة معايير موضوعية تستخدم لتحديد مفهوم العالم الإسلامي ومن هذه المعايير:
- 1- المعيار التطبيقي: وهي الدول التي تلتزم بتطبيق الشريعة الإسلامية في أمور حياتها العامة والخاصة، وقد استعمل الفقهاء تعبيراً خاصاً بذلك هو (دار الإسلام) وهي المناطق التي يطبق فيها شرع الله في الأرض بغض النظر عن عدد سكانها.
 - 2- المعيار الرسمي: وهي الدول التي تنص دساتيرها على أن الدين الإسلامي هو الدين الرسمي لأهل البلاد أو الدين الرئيس للدولة، فالدولة هنا وتحت هذا المعيار دولة إسلامية سواء طبقت تعاليم الإسلام أو لم تطبقها.
 - 3- المعيار العددي: وهي الدولة التي يزيد فيها نسبة المسلمين عن 50% فأكثر من مجموع سكانها من الدول الإسلامية، أما إذا كانت النسبة أقل من ذلك فإن المسلمين فيها يكونون أقلية إسلامية في دول غير إسلامية.

من وجهة النظر الإسلامية فإن المعيار الأول هو أصح المعايير فالقطر الإسلامي هو الذي يطبق فيه شرع الله بغض النظر عن عدد السكان أو عقائدهم الأخرى، غير أن استعمال هذا المعيار يخرج معظم أقطار العالم الإسلامي، وبتطبيق المعيار الثاني على الدول والوحدات السياسية في العالم، تجد أن نسبة محدودة من الدول الإسلامية التي تنص دساتيرها الرسمية على أن الدين الإسلامي هو الدين الرسمي الرئيس للدولة. أما المعيار

الثالث وهو المعيار العددي الذي يعتمد على الأغلبية المسلمة في القطر، وتحقق الأغلبية بزيادة نسبة السكان عن النصف في أي قطر من الأقطار، فالدولة التي يزيد فيها عدد المسلمين عن 50% هي دولة تدخل ضمن العالم الإسلامي من وجهة النظر الجغرافية غير ان هناك صعوبات تواجه المعيار العددي وذلك بسبب الافتقار إلى البيانات الدقيقة التي تسمح باعتماد هذا المعيار. حيث هناك اختلاف في تقدير عدد المسلمين في الدول والأقاليم المختلفة، وأن هناك شك كبير في كثير من الإحصاءات والتقديرات المتعلقة بالمسلمين وخاصة بالنسبة للدول المتعددة الأديان.

إن هذه الاعتبارات تجعل من المعيار العددي مقياس غير ثابت لاختلاف وجهات النظر حوله، وفي غياب الرقم الدقيق تكثر الاجتهادات والآراء وتتدخل النوايا والأطماع لتخرج هذا القطر أو ذاك من العالم الإسلامي أو تدخله في دائرته، فالأمر لا يعدو وضع رقم يزيد عن 50% لإدخال الدولة ضمن قائمة الدول الإسلامية، أو وضع رقم آخر يقل عن 50% لإخراجها من القائمة واعتبارها دولة غير إسلامية ولكن تسكن أراضيها أقلية إسلامية أو جالية إسلامية. من هنا يتبين الاختلاف الشديد في تحديد مفهوم العالم الإسلامي وحدوده الإقليمية من وجهة النظر الجغرافية.

تجاوزا للخلاف فإنه سوف يعتمد ما أقرته الموسوعة الجغرافية للعالم الإسلامي بخصوص الأقطار التي يشملها عالم الإسلام.

1-1-2 مكونات العالم الإسلامي

استنادا إلى المعايير التي حددتها الموسوعة الجغرافية للعالم الإسلامي فإنه يتكون من مكونين رئيسيين هما:

أولاً- الدول الإسلامية: إن المسلمين يعيشون في وحدات سياسية متميزة هي الدول الحديثة التي يمكن من خلالها تحديد صلاحياتها السيادية وإجراء التعدادات أو التقديرات السكانية وتقديم البيانات الخاصة بالأنشطة الاقتصادية والتجارية.

استنادا إلى المعايير التي حددتها الموسوعة الجغرافية للعالم الإسلامي فإن الدول الإسلامية تقسم إلى مجموعتين:

المجموعة الأولى: وتشمل الدول ذات الأغلبية المسلمة وهي التي تزيد نسبة المسلمين فيها عن 50% من مجموع السكان.

المجموعة الثانية: وتضم الدول التي يمثل المسلمين فيها أكبر الجاليات، وهذا ينطبق على الدول ذات الديانات المتعددة.

ثانياً- الأقليات المسلمة: يرتبط بتحديد مفهوم العالم الإسلامي وجود الأقليات السلمية المنتشرة في بقاع العالم، وتتفاوت إعدادها ونسبها إلى مجموع السكان، فقد ينخفض عددها إلى بضعة عشرات من الأفراد وبنسبة مئوية لا تزيد عن 0.001% من جملة السكان كما في المجر بموجب تقديرات عام 1988، وقد يرتفع العدد إلى عشرات الملايين أو مئات الملايين كما في الصين بنسبة تقدر 5% من جملة السكان حسب بيانات 1988م، والحقيقة ان تقديرات الأقليات الإسلامية في العالم تتفاوت من مصدر لآخر، وأن الحصول على أرقام دقيقة أو أقرب إلى الدقة يتطلب الاهتمام بالجاليات الإسلامية خارج العالم الإسلامي وقيام الحكومات الإسلامية بعمليات التعداد والمسح سواء على نحو خاص أو من خلال التعدادات العامة للسكان في أوطانهم الأصلية.

يكتسب موضوع الأقليات المسلمة اهتماما خاصا ذلك أن نصف عدد المسلمين هم أقليات يعيشون في مجتمعات لا تزال أكثريتها العددية من غير المسلمين، فمثلا إن أكثر من مائة مليون مسلم يعيشون في الهند يعدون أقلية مغلوبة، بينما مليون مسلم في دولة عربية صغيرة أو افريقية أكثرية غالبية.

يتطلب تحديد مفهوم الأقلية المسلمة أولا تحديد مفهوم الأقلية فالأقلية: هي مجموعة بشرية تعيش بين مجموعة بشرية أكثر عددا وتختلف عنها في خاصية من الخصائص كاللون، الثقافة، الدين، العرق، وتعامل معاملة مختلفة عن معاملة الأكثرية ولا تصبح الأقلية أقلية إلا إذا كان الفارق الديني مهما بحيث يحاول أفراد الأقلية الحفاظ عليه، أو أن الأكثرية تحاول فرض إدماجها في الأكثرية.

على هذا الأساس فالأقلية المسلمة هي: مجموعة بشرية تعيش بين مجموعة أكبر منها وتختلف عنها بكونها تنتمي إلى الإسلام وتحاول بكل جهدها الحفاظ عليه.

معنى هذا أنه إذا كان يعيش عدد من المسلمين في دولة غير إسلامية من غير أن يكونوا مجموعة منظمة تحاول الدفاع عن خاصيتها الإسلامية فهؤلاء لا يشكلون أقلية إسلامية

مهما كبر عددهم، بل هم فقط مسلمون فرادى في مجتمعات غير إسلامية، وفي غالب الأحيان ينتهي الإسلام حيث لا يمكن الحفاظ على الإسلام في أجيالهم الصاعدة لعدم تمكنهم من تكوين المجتمع الإسلامي والمؤسسات الإسلامية التي تجعل ذلك ممكناً.

1-2 تطور الخارطة السياسية للعالم الإسلامي

يتطلب عرض تطور خارطة العالم الإسلامي توضيح انتشار الإسلام في العالم عبر المراحل التاريخية المختلفة، ولما كان هذا موضوع واسع جداً وفيه الكثير من التفاصيل التاريخية عليه فإننا سوف نركز على انتشار المد الإسلامي في بقاع الأرض والسبل التي ساعدت على ذلك والاقتران على ذكر الأحداث والتواريخ والأسماء المهمة حيث إن المهم هو توسع رقعة الدين الإسلامي الجغرافية وهو انجاز تاريخي عظيم خلد أولئك الذين عملوا وجاهدوا لتحقيق هذا الهدف العظيم وكيف كانت استجابة سكان البلاد سواء التي فتحت عنوة أو دخلت بالإسلام طواعية وما هو دورهم لاحقاً في حمل راية الإسلام وموقفهم من الإسلام كقوة مفروضة أم طوق نجاة من القهر والظلم والترفقة.

وانسجاماً مع المنهج الجغرافي فإنه سوف يكون العرض كما يأتي:

1-1-2 ظهور الإسلام وانتشاره في الجزيرة العربية

تكتسب دراسة الجزيرة العربية أهمية خاصة في تاريخ العرب المسلمين، ففيها بعث الرسول (صلى الله عليه وسلم) ودعا إلى الإسلام وأسس الدولة الإسلامية واعتمد الرسول (صلى الله عليه وسلم) والخلفاء الراشدون (رضي الله عنهم) على أبنائها في فتح البلاد الإسلامية وتوسيع رقعة الدولة الإسلامية، ومن أبنائها أيضاً برز الخلفاء والقادة الذين سيروا دفة الدولة الإسلامية ووضعوا الأسس الأولى لنظامها، والجزيرة العربية هنا لا تشمل بلاد الشام وشبه جزيرة سيناء وتمتد حدودها كما جاء في كتابات الجغرافيين المسلمين، الأصطخري، ابن حوقل، الجيهاني، المقدسي من رأس الخليج العقبة حتى رأس الخليج العربي.

كانت تنتشر في الجزيرة العربية قبل الإسلام بنحو قرن ونصف الديانات المعروفة في العالم القديم. كما جاء في القرآن الكريم ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ الحج:17

أكثر الديانات انتشارا هي الوثنية وقد سادت الجزيرة العربية قبل الإسلام، أما اليهودية فقد دخلت إلى الجزيرة العربية خلال القرون الثلاثة الأولى للميلاد بعد ان تفرق اليهود بعد فتح الرومان لفلسطين، انتشر اليهود في يثرب وفي شمال الحجاز في تيماء وخيبر ووادي القرى، وقد اعتنق اليهودية بعض العرب لكن انتشارها كان محدودا بوجه عام.

أما النصرانية فقد دخلت الجزيرة العربية في القرن الرابع الميلادي على أيدي الأباطرة البيزنطيين، أشهر مواطن النصرانية في جزيرة العرب منطقة نجران، ومن القبائل التي أنتشرت فيها النصرانية تغلب وقضاة وغسان، لكنها لم تنتشر كثيرا تحسبا لمخاطر التدخل من جانب الدولة البيزنطية وممثلتها الحبشة.

من الديانات الأخرى في الجزيرة العربية المجوسية التي دخلت إليها من بلاد فارس ومعبودها النار باعتبارها رمزاً للنور وتقوم على تعاليم زرداشت وانتشرت في البحرين وفي هجر بصفة خاصة.

الصابئة هي الأخرى كانت موجودة بالجزيرة العربية وهي ديانة ترجع إلى البابليين والأشوريين ومركزها حران على شاطئ الفرات الأعلى ومنها انتقلت إلى اليمن.

كما ظهرت في الجزيرة العربية جماعة يطلق عليها (الحنفاء) أو (التائبون) وهم فريق من العرب كان لديهم شك في جميع الأديان القائمة بالجزيرة العربية وكانوا يعتقدون بحتمية وجود قوة عليا تسيير هذا الكون، وفتنوا إلى فساد المعتقدات السائدة وعادات الجاهلية، وربما اختلطوا باليهود والنصارى فأخذوا يدعون إلى دين قائم على توحيد الإله ونبذ عادات الجاهلية السيئة، وهؤلاء هم إتباع سيدنا ابراهيم (عليه السلام).

إن في مجموعة (الحنفاء) إشارة على رفض مجموعة من العرب لما كان سائدا وأنهم على استعداد لتقبل أي فكرة أو معتقد تستطيع إنقاذ الأوضاع مما هي عليه ووضعها على الطريق السليم والصحيح.

بدأت مسيرة الإسلام بنزول الوحي على الرسول (ﷺ) في يوم الاثنين من شهر رمضان أول ما نزل من القرآن الكريم قوله تعالى ﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (1) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (2) أَقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (3) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (4) عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (5)﴾ العلق

الدعوة إلى الإسلام

1- الدعوة السرية

استهل الرسول الدعوة إلى الإسلام بعرضه على أهل بيته وخاصة الأقربين فدعاهم سرا إلى الإيمان بالله وحده ونبذ عبادة الأوثان، وذلك كل على انفراد. ولهذا عرفت هذه المرحلة من الدعوة الإسلامية بالدعوة السرية واستمرت ثلاث سنوات.

أول من استجاب لدعوة الإسلام السيدة خديجة وابن عمه علي بن أبي طالب ومولاه زيد بن حارثة. كما كان من طلائع المؤمنين أبو بكر الصديق وكان صديقا للرسول (ﷺ)، اهتدى على يد أبو بكر خمسة من الصحابة الكرام وهم: عثمان بن عفان، الزبير بن العوام، عبد الرحمن بن عوف، سعد بن أبي وقاص، طلحة بن الزبير.

أسلم بعد ذلك أبو عبيدة الجراح وأبو سلمة والأرقم بن أبي الأرقم.

2- الدعوة العلنية

بدأت تلك المرحلة بالسنة الرابعة من البعثة النبوية، بعد أن تزايد الداخلون إلى الإسلام فأمر الحق سبحانه وتعالى رسوله (ﷺ) بالجهر بالدعوة، فقال تعالى ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ (94) إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ (95)﴾ الحج نادى الرسول (ﷺ) بالقوم في مكة وبلغهم بالرسالة وأن يقولوا: لا إله إلا الله، وأخذ المسلمون يجهرون في قراءة القرآن.

تميز موقف قريش والمشركين عامة من الدعوة للإسلام ومن رسول الإسلام بالعداء المطلق وإلحاق الأذى بالرسول وأتباعه وممارسة شتى أنواع التعذيب لأتباعه.

- السنة الخامسة للبعثة النبوية (615م) اكتسبت السنة الخامسة من البعثة النبوية الشريفة (615م) أهمية كبرى في تاريخ الدعوة للإسلام، إذ شهدت ثلاث حوادث كان لها أثرها البعيد في نشر الإسلام وازدياد عدد المسلمين وتعاضم قوتهم، وهذه الحوادث هي:
- إسلام حمزة بن عبد المطلب: وهو عم النبي (ﷺ) وأخوه من الرضاعة فأعز الله به الإسلام.

- الهجرة إلى الحبشة: وهي أول هجرة في الإسلام وذلك بعد اشتداد إيذاء قريش للنبي وأصحابه فأشار الرسول إلى أصحابه بالهجرة إلى الحبشة حيث يوجد هناك ملك عادل، لقد آمن المسلمون بأرض الحبشة وحمدوا جوار النجاشي.
- كان لهذه الهجرة أثرها البالغ في ازدياد عدد الداخلين بالإسلام بل في وصول الإسلام إلى قارة أفريقيا.
- إسلام عمر بن الخطاب: كان ذلك بعد الهجرة إلى الحبشة وكان ذا أثر بعيد في تاريخ انتشار الإسلام، ويعد إسلامه قوة مضافة للمسلمين إلى جانب إسلام حمزة (رضي الله عنه).
- الهجرة إلى يثرب: استمرت قريش بمواقفها العدائية من الإسلام ورسول الله فاتخذت قريش قرارا بالمقاطعة للنبي وعشيرته فلا يباعدونهم ولا يتتبعون منهم ولا يصاهرونهم. عندها فكر الرسول بالخروج إلى الطائف أولا وذلك في أواخر سنة 10 من البعثة النبوية إلا أن ذلك لم يتحقق. كان إسلام نضر من محدود من الخزرج من أهل المدينة في سنة 11 من البعثة النبوية والتقاء الرسول بهم في منى حافزا للهجرة إلى يثرب (المدينة).

قيام الدولة الإسلامية في المدينة

بعد الهجرة النبوية إلى يثرب وعودة أصحاب العقبة الثانية إلى المدينة ازداد انتشار الإسلام بالمدينة بحيث لم يبقى إلا القليل منهم على الشرك إلى جانب اليهود الذين بقوا على دينهم، إن الهجرة النبوية الشريفة إلى يثرب حدثت بارز ذو أثر بعيد وبالغ في تاريخ الإسلام دعوة ودولة، وكانت عامل دفع قوي في اتساع انتشار الإسلام وتعاضم قوة المسلمين. إن من ابرز نتائج الهجرة النبوية إلى المدينة قيام الدولة الإسلامية لأول مرة في التاريخ، وبذلك فقد أضحى الرسول (صلى الله عليه وسلم) قائدا لدولة الإسلام الناشئة إلى جانب كونه نبيا ورسولا.

اتخذت المدينة المنورة مركزا للدولة وعاصمة لها، واعتمد ذلك بداية لتدوين التاريخ الهجري وصادف ذلك في العام السابع عشر للهجرة / 638م في زمن عمر بن الخطاب.

بادر الرسول إلى تنظيم شؤون المجتمع الإسلامي في المدينة حيث اتخذ عدداً من الخطوات منها.

إعلان التاخي بين الأنصار والمهاجرين، وأمن الرسول اليهود على دينهم وبين حقوقهم وعلاقاتهم مع المسلمين ((لليهود دينهم وللمسلمين دينهم)) وبعد قيام دولة الإسلام في المدينة وازدياد اعداد المسلمين بدأ الرسول بتوجيه الرسائل إلى الملوك والأمراء آنذاك في الداخل الجزيرة العربية وخارجها يدعوهم فيها إلى الإسلام إيماناً من الرسول محمد (ﷺ) برسالة الإسلام العالمية، وكان تجاوب الأكثرية مع الدعوة للإسلام بالنسبة للجزيرة العربية. خارجياً بعث الرسول إلى ملك الحبشة وهرقل إمبراطور الدولة البيزنطية وكسرى ملك فارس والمقوقس حاكم مصر البيزنطي والى أمير غسان في بصرى الشام المتحالف مع الروم.

اتسعت دولة الإسلام في المدينة لتشمل الجزيرة ثم تجاوزت الحدود لتغدو دولة عالمية. وكانت الحكومة النبوية أول تطبيق عملي واصيل من أصول الإسلام وان الإسلام دين ودولة وقيام دولة الإسلام انتقلت الجزيرة العربية من التمزق السياسي الذي صاحب النظام القبلي إلى الدولة الموحدة والانسجام.

الغزوات في عهد الرسول (ﷺ)

بدء لابد من التأكيد على أن الغزوات كانت للدفاع عن النفس وتأمين دعوة الإسلام وكان لابد من التعبير عن ظهور قوة الإسلام الجديدة، ومن الغزوات ذات الأثر البعيد في مستقبل الإسلام وانتصار دعوته هي:

- غزوة بدر الكبرى: حدثت في رمضان منها السنة الثانية للهجرة انتصر المسلمون على قريش وظهرت قوة الإسلام في المنطقة.
- هدنة الحديبية (غزوة الحديبية): وهي إحدى الوقائع المهمة المعبرة عن حالة الصراع بين المسلمين والمشركين عندما خرج الرسول من المدينة في شهر ذي القعدة في السنة السادسة للهجرة مع نحو ألف وستمائة من المسلمين لأداء العمرة فاعترض المشركون طريق الرسول وأصحابه وانتهت باتفاق الجانبين على هدنة بين المسلمين وقريش لمدة عشر سنوات وأن يؤجل الرسول وأصحابه العمرة لهذا العام إلى العام القادم.
- معركة مكة 8 _ 630م: بعد أن دخلت معظم القبائل العربية في الإسلام أعلنوا عزمهم على القيام بمسيرة إلى مكة على رأس جيش بلغ تعداده عشرة آلاف رجل، وأن دخول الرسول إلى مكة نصراً مؤزراً وإيداناً بمرحلة سيادة الإسلام معظم أرجاء

الجزيرة العربية وبدأت القبائل العربية تتوافد إلى الرسول (صلى الله عليه وسلم) في مكة للإعلان عن القبول بالدين الإسلامي طواعية. وهكذا يمكن القول أنه في أثناء حياة الرسول وحتى وفاته عام 11 _ 632م كان الإسلام قد عم الجزيرة العربية باستثناء أجزاء محدودة في أطرافها الشرقية والجنوبية.

1-2-2 انتشار الإسلام في الأطراف الشمالية للجزيرة في بلاد الشام والعراق

تمثل الأطراف الشمالية للجزيرة العربية أهمية خاصة في نظر المسلمين الأوائل وكان المسلمون ينظرون إليها على أنها تمثل امتداداً إقليمياً للجزيرة العربية وارتبط أمن الجزيرة والإسلام بها لاسيما وأن هناك موقفين كبيرين معادين للإسلام وهما إمبراطورية الروم البيزنطية في بلاد الشام والإمبراطورية الفارسية في العراق. استمر الاهتمام بالأطراف الشمالية في عهد الخلفاء الراشدين وهذا ما يتضح من أول عمل قام به الخليفة أبو بكر الصديق (رضي الله عنه) هو إنقاذ جيش أسامة بن زيد الذي كان قد بعثه الرسول (صلى الله عليه وسلم) إلى الشام قبل وفاته، حيث قال وهو يعاني المرض ((أنقذوا جيش أسامة)). إن مهمة إنقاذ جيش أسامة في تلك المرحلة اكتست أهمية خاصة وذلك لرفع معنويات المسلمين وإضعاف معنويات المنافقين. تحدد الأطراف الشمالية للجزيرة العربية بلاد الشام والعراق اللتان توجهت الفتوحات إليهما أولاً خارج الجزيرة العربية:

بلاد الشام:

بعث الخليفة أبو بكر الصديق في مطلع العام الثالث عشر الهجري كلا من عمرو بن العاص ويزيد بن أبي سفيان وأبا عبيدة الجراح وشرحبيل بن حسنة إلى بلاد الشام وأمرهم أن يسلكوا على البلقاء، فنزل يزيد البلقاء، ونزل أبا عبيدة الجابية، ونزل شرحبيل الأردن، وأرسل إلى خالد بن الوليد بالتوجه من العراق إلى الشام، فأغار خالد بن الوليد على غسان بمرج راهط، ثم نزل على قناة فصالح بصري فكانت أول مدائن الشام فتحاً، كما صالح أهل تدمر.

معركة اليرموك

التقى خالد بن الوليد بجموع المسلمين في اليرموك فلما تكامل جمعهم عينوا خالداً قائداً للجيش الإسلامية في الشام، والتقوا بالروم ونشب القتال فانهزم الروم وانتصر

المسلمون وكان فتحا عظيما، ثم ساروا جميعا إلى فلسطين لمساندة عمرو بن العاص، فالتقى جيش المسلمين وجيش الروم في أجنادين (غرب الخليل) وبدأ القتال في السنة الثالثة عشرة للهجرة فانتصر المسلمون وانهزم الروم وقتل زعيمهم. بعد الانتصار الكبير الذي حققه المسلمين في معركة اليرموك سار أبو عبيدة بالمسلمين إلى دمشق فحاصرها هو من جهة وخالد بن الوليد من جهة أخرى حتى استسلمت فدخلها أبو عبيدة صلحا وخالدا فاتحا، وذلك في السنة الرابعة عشرة للهجرة، ثم توالت الفتوحات في حمص وبعبك وبيروت وصيدا والمناطق المجاورة، في السنة الخامسة عشرة للهجرة ففتح شرحبيل بن حسنة الأردن كلها عنوة ماعدا طبرية حيث صالحه اهلها. وفتح خالد بن الوليد البقاع، ثم فتحت قنسرين عنوة، وصالح أهل حلب ومنبج انطاكية.

حاصرت جيوش المسلمين بيت المقدس فسألوه الصلح على أن يكون الخليفة عمر بن الخطاب هو الذي يمنحهم ذلك ويكتب لهم أمانا، فحضر فعلا الخليفة عمر بن الخطاب فصالحهم. استكمالا لفتح بلاد الشام افتتح ابو موسى الأشعري الرها وسمياط صلحا وما ولاها عنوة، كما تم فتح حران ونصيبين وطوائف الجزيرة عنوة وذلك في السنة الثامنة عشرة للهجرة.

فتح العراق

بعث الخليفة أبو بكر الصديق خالد بن الوليد في السنة الثانية عشرة للهجرة إلى البصرة في جنوب العراق وذلك لمساندة المثني بن حارثة الشيباني الذي سبقه إلى البصرة والتقى في الأبله حيث دارت معركة بين جيش المسلمين وجيوش الفرس في منطقة كاظمة (شمال الكويت)، عرفت هذه المعركة بذات السلاسل انتصر المسلمون وقتل هرمز فطارد خالد بن الوليد فلول جيش الفرس فلقاهم بالثني وهو النهر فقتل أو غرق منهم أعدادا كبيرة، وبعد وصول الإمدادات إلى الفرس عسكروا في بالوجه، وسار إليه خالد وقاتلهم قتالا شديدا حتى انتصر عليهم وانهزم قائدهم الذي مات عطشا. توجه بعد ذلك خالد إلى السواد فهزم جموع نصارى العرب ومن معهم من الفرس في اليس، ثم سار إلى الحيرة (عاصمة دولة المناذرة العرب) فحاصرها حتى صالح أهلها وأخذ الجزية منهم فكانت أول جزية من الفرس في الإسلام.

ثم سار خالد إلى الأنبار فصالحه أهلها، ومنها إلى عين التمر لملاقاة جموع العجم وجمع عظيم من العرب، فالتقى بهم وأسر زعيم العرب وانهزم عسكره من غير قتال، وهربت جموع العجم وقتل أعداداً كبيرة منهم.

واصل خالد فتوحاته في العراق حتى بلغ الفرات وهي تخوم الشام والعراق والجزيرة فالتقى بجموع الروم والفرس ومن ناصرهم من العرب على الفرات وتقاتلوا فانهزم الروم ومن معهم وأوقع خالد فيهم السيف فقتل من قتل.

معركة القادسية

بعث أمير المؤمنين عمر بن الخطاب أبا عبيدة الثقفي إلى العراق لمساندة المثنى بن حارثة الذي سبق وإن أرسله الخليفة أبو بكر الصديق، وبعد استشهاد أبي عبيدة في معركة الجسر، اصدر الخليفة عمر بن الخطاب أمراً بتعيين سعد بن أبي وقاص والياً على العراق.

في السنة الخامسة عشرة للهجرة وقعت معركة القادسية بالعراق فتولى سعد بن أبي وقاص قيادة الجيوش الإسلامية، دارت معارك طاحنة انتصر فيها المسلمون على المشركين وقتل رستم قائد الجيوش الفارسية، طارد خالد بن الوليد فلول المشركين الذين فروا إلى المدائن (عاصمة آل ساسان) فحاصرها، فانهزموا ونزلوا في جلولاء (على حدود العراق الحالية مع إيران)، ووقعت معركة جلولاء في السنة السابعة عشرة للهجرة وكتب الله النصر للمسلمين وسميت معركة جلولاء فتح الفتوح وبها تم فتح العراق، كما افتتحت الموصل ضمن فتوحات تخوم بلاد الشام والعراق.

1-2-3 انتشار الإسلام في قارة آسيا

انتشار الإسلام في بلاد فارس وأفغانستان وباكستان

إن رسالة الإسلام هي للعالم جميعاً وليست مقصورة على منطقة محدودة وإن من أولى مهام المسلمين الدعوة للإسلام ونصره والعمل بمبادئه والاحتكام لشريعته، وبعد قيام دولة الإسلام في المدينة فإن الواجب الشرعي يحتم على ذوي الأمر الدعوة للإسلام والجهاد في سبيل ذلك، وعليه شرعت دولة الإسلام بالعمل على ذلك عملاً بالآية الكريمة: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ النحل:125، من الأمور التي تثير التساؤل والإعجاب ذلك

الانتشار السريع للإسلام وإقبال الناس عليه في البلاد المفتوحة في زمن اقل بكثير من المتوقع، ويجب أن لا يتبادر إلى الذهن أن هذا الانجاز إنما جاء بفعل قوة المسلمين عسكريا وخوفا منهم وإنما جاء من خلال السياسة الحكيمة والأساليب الإنسانية والثقة العالية بمبادئ الإسلام في المساواة والعدالة، وان هناك جملة من العوامل المشتركة التي ساعدت على انتشار الإسلام في العالم هي:

- أن الفتوحات الإسلامية لم تكن اجتياحا عسكريا مدمرا ومخربا للحرث والنسل والعمران كما يحدث من قبل القوى الأخرى.
- حسن معاملة الفاتحين لسكان البلاد المفتوحة من غير المحاربين وذلك تطبيقا لتعاليم الإسلام ومبادئه ورسالته الإنسانية.
- ثقة الناس في البلاد المفتوحة بعدالة العرب المسلمين والدين الإسلامي الذي يدعوا للعدالة والمساواة.
- انتشار الفساد والتدهور والصراع المذهبي للديانات التي كانت سائدة قبل الإسلام مما دفع الناس إلى الإسلام للتخلص من هذه الحالات.
- الإبقاء على النظم الإدارية والمالية التي كانت موجودة قبل الفتح، وإجراء التغيير بالتدريج رسخ الشعور بالاستقرار وقربهم من الإسلام.
- تعيين الحكام الملتزمين بأحكام الإسلام المتفهمين بحيث يكونوا قدوة للناس في حياتهم وسلوكهم، وتعليم الناس أمور دينهم وسنة نبيهم وان يقيموا بهم الصلاة ويقضوا بالحق.
- إيفاد الكثير من الدعاة والمعلمين والفقهاء إلى البلاد المفتوحة ليساعدوا على نشر العلم وقراءة القرآن وتعاليم الإسلام فتأثر الناس بهم واسلم على أيديهم المئات بل الألوف.
- الهجرات العربية إلى البلاد المفتوحة ليس بقصد التسلط العسكري والسياسي وإنما الغاية الأساسية نشر الإسلام وتثبيت أركانه ولم يكن هؤلاء الوافدون طبقة عالية متوقعة كما يحدث كثيرا من جانب القوى المحتلة الأخرى، بل اتخذت المناطق التي استقروا بها قواعد للانطلاق لفتوحات جديدة.
- الحرية الدينية فقد تركوا لأهل البلاد المفتوحة حرية الاختيار بالتحول الى الإسلام أو البقاء على دياناتهم القديمة وممارسة حقوقهم وشعائرهم الدينية التي لا تتعارض مع مبادئ الإسلام وشريعته بشرط دفع الجزية.

● المشاركة على عكس ما يحدث في القوى المحتلة الأخرى فان دولة الإسلام تشرك أبناء البلاد المفتوحة بجيوش المسلمين بعد حسن إسلامهم وكان لهم دور مؤثر في مجرى الأحداث وعملوا على نشر الإسلام والجهاد في سبيله، وتولى البعض منهم القيادات العسكرية العليا في الدولة الإسلامية خاصة في عهد العباسيين.

● المشاركة في الإدارة والحكم وتوالي المناصب الإدارية والمالية ودواوين الإدارة وحكم المدن والأقاليم.

● مساهمة التجار العرب والمسلمين في نشر الإسلام من خلال حسن معاملتهم وصدقهم وعلاقاتهم التجارية القديمة التي تمتد إلى ما قبل الإسلام مع شعوب جنوب شرق آسيا والهند شرق أفريقيا وعلى أيدي هؤلاء التجار دخل في الإسلام الآلاف من البشر.

تواصلت الفتوحات في بلاد فارس وبدأ الاتصال بالإسلام في عهد الخلفاء الراشدين وتم القضاء الحاسم على الإمبراطورية الفارسية في عهد عمر بن الخطاب واستكمل الفتح في عهد عثمان بن عفان (رضي الله عنهما).

عندما بدأت الفتوحات الإسلامية في بلاد فارس دخل معظم الفرس الإسلام بالتدريج، ولم يكاد يمر القرن الأول الهجري (السابع الميلادي) حتى أصبح الفرس شعبا مسلما يلتزم بالإسلام وبأحكامه وقد أتى هذا التطور نتيجة سياسة العرب في بلاد فارس وفي غيرها من المناطق التي انتشر فيها الإسلام.

في أثناء معركة القادسية 15 _ 635م أسلم بعض الفارسيين وأطلق عليهم تسمية (المسالمة) وهؤلاء ساعدوا سعد بن أبي وقاص في القضاء على الفيلة التي أثارت الذعر بين خيل المسلمين، وكان لذلك أثره الكبير في انتصار المسلمين في معركة القادسية. كذلك أعلن الجنود الديلم الذين كانوا يقاتلون مع رستم في معركة القادسية الإسلام بعد اعتزالهم القتال بعد مقتل رستم.

أعلن دهاقين الفلاليج والنهرين وبابل وخطرينه وغيرهم الإسلام بعد فتح المدائن ومعركة جلولاء 17 _ 638م، اسلم أيضا الهرمزان ملك الأهواز في العام نفسه بعد معركة شرسة بينه وبين أبو موسى الأشعري حيث أسر على أثرها وأعلن إسلامه وعقب سقوط الأهواز أعلن قائدها سياه إسلامه، تقدم المسلمون باتجاه أصبهان وفتحوا بعض نواحيها وضياعها في 23 - أعلن البعض منهم إسلامه، ثم التوجه إلى شمال فارس ودخل المسلمون مدينة قزوین وأعلن قسم من سكانها الإسلام.

في عهد الخليفة عثمان بن عفان وصل الإسلام إلى أذربيجان على يد الأشعث بن قيس الذي فتحها للمرة الثانية واسكن بها بعض العرب من أهل العطاء والديوان وأمرهم بدعوة الناس إلى الإسلام فاستجاب أهل أذربيجان وازداد الإسلام بقدم كثير من القبائل العربية من الكوفة والبصرة والشام واستقروا هناك.

عندما قامت الخلافة العباسية 132 _ /570م كان ما يزال الآلاف من الفارسيين على دياناتهم القديمة فشرعوا ببذل الجهود لنشر الإسلام بين هؤلاء وأدى ذلك إلى تحول أسر مهمة إلى الإسلام منهم البرامكة وبنو سهل الذين تقلدوا أعلى المناصب الوزارية والقيادية في الجيش والإدارة.

الدولة السامانية ودورها في نشر الإسلام

أعلن سامان أمير بلخ إسلامه في أواخر القرن الثاني الهجري، وأسس أحفاده دولة إسلامية هي الدولة السامانية التي حكمت بلاد ما وراء النهرين وخراسان فترة طويلة من الزمن 261-389 _ والتي يعود إليها الفضل الأكبر في نشر الإسلام في تركستان الشرقية وصارت سمرقند وبخارى في العهد الساماني من أمهات المدن الإسلامية التي ازدهرت فيها علوم الإسلام ونبع فيها الكثير من علماء المسلمين.

بالنسبة لأفغانستان والتي لم تعرف بهذا الاسم إلا منذ القرن الثاني عشر الهجري/ منتصف القرن الثامن عشر الميلادي، وذلك بعد أن أصبحت السيادة فيه للسلالة العرقية الأفغانية، وكان قبل ذلك أقاليم مختلفة تحمل تسميات متميزة ليس بينها وحدة سياسية محددة ولا يربطها رباط يميزها من حيث السلالة العرقية واللغة.

تمثل أفغانستان من الناحية الجغرافية الجزء الشمالي الشرقي من الهضبة الفارسية الكبيرة وتقسّمها جبال هندوكوش إلى قسمين شمالي وجنوبي ينهي القسم الشمالي إلى إقليم وسط آسيا وكان يسمى باسم باكتريا التي عرفت عند العرب باسم بلخ، ويشمل امتداده الغربي جزءا كبيرا مما عرف بخراسان الواقعة ضمن دولة أفغانستان.

أما القسم الجنوبي من أفغانستان فيشمل أقاليم كثيرة مثل قندهار، كابل، زابلستان... وغيرها، وهذه لم تكن تابعة لولاية خراسان المعروفة في تاريخ الخلافة الإسلامية.

ظلت هذه الممالك خاضعة للصينيين حتى جاء الإسلام وتمكن المسلمون من فتح هذه البلاد وتدرجياً منذ عهد الخليفة عثمان بن عفان، واستقر فيها الإسلام تماماً في منتصف القرن الرابع الهجري في عهد الغزنويين الذين أسسوا الدولة الغزنوية الإسلامية وأصبحت أفغانستان قطراً إسلامياً خالصاً.

ترجع بدايات الفتوحات الإسلامية في أفغانستان إلى عهد الخليفة عثمان بن عفان 30، تقدم المسلمون حتى وصلوا إلى زابل وفتحوا مدينة زرنج، وفي عهد معاوية بن أبي سفيان دخلت جيوش المسلمين كابل وفتحت خواش وزابلستان (غزنة)، إلا أنه بالحقيقة لم يستتب الأمر للمسلمين في سجستان إلا في عهد عبد الملك بن مروان، إذ أصبحت سجستان قاعدة إسلامية تنطلق منها جيوش المسلمين لغزو وسط أفغانستان، ولم يتمكن الخلفاء الأمويون من دخول كابل لطبيعتها المحصنة، وفي عهد الخلافة العباسية أرسل الخليفة أبو جعفر المنصور 152 _ / 769م جيشاً إلى كابل واضطر ملكها الذي عينه الخليفة أبو جعفر المنصور حاكماً لبلاده للاستسلام، ومع هذا فإن السيطرة الكاملة على البلاد لم تكتمل إلا في عهد الخليفة المأمون حيث فتح كابل واعتنق ملكها الإسلام وأعلن الطاعة للخليفة العباسي، يبدو أن فتح كابل قد استغرق وقتاً طويلاً يمتد إلى ثلاثة قرون بذل خلالها المسلمون الجهود الكبيرة لفتحها، وقد يتبادر إلى الذهن أن بقية سكان أفغانستان لم تعرف الإسلام قبل فتح كابل، بل بالحقيقة إن كثيراً من سكان كابل وسائر بلاد أفغانستان كانوا قد اعتنقوا الإسلام منذ عصر الفتوحات الأولى، وأن بعض أقاليم أفغانستان كانت خاضعة للدولة الإسلامية منذ القرن الأول الهجري مثل بلخ وسجستان وهراة إلا أن أفغانستان لم تظهر بلداً إسلامياً خالصاً ولأول مرة توطن فيها الإسلام في عهد الغزنويين.

الدول الإسلامية المستقلة

انطلقت من بعض أقاليم أفغانستان دعوات وثورات للانفصال والاستقلال عن الخلافة مع التمسك بالإسلام تماماً ولهذا فقد شهدت أفغانستان عدداً من الدول المستقلة التي حرصت على رسالتها الإسلامية ومن هذه الدول:

- الدولة الصفارية: استطاع الصفاريون من إقامة دولتهم في سجستان وسيطرتهم على كابل وغزنة وبقية المناطق جنوب جبال هندوكوش وذلك في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري، وقد حرص الصفاريون على نشر الإسلام في كابل معقل البوذية في أفغانستان وقضوا على ملوك كابل.

● الدولة السامانية: استلم حكم أفغانستان السامانيون بعد انتهاء حكم الدولة الصفارية القصير وذلك في عام 298 _، لقد أدى السامانيون دورا كبيرا في نشر الإسلام في أواسط آسيا وتركستان الشرقية.

● الدولة الغزنوية: تعد هذه الدولة من أبرز الدول التي شهدتها أفغانستان والتي لعبت دورا كبيرا في نشر الإسلام وترسيخه في أفغانستان وخارجه انبثقت هذه الدولة عن الدولة السامانية قبل سقوطها في بلاد ما وراء النهر ويعد سبكتمين التركي الأصل هو المؤسس الحقيقي للدولة الغزنوية في أفغانستان والذي أمتد حكمه من الفترة 366-388، تمكن سبكتمين من السيطرة على كابل وما يحيط بها من أقاليم جبلية، خلفه ابنه محمود الغزنوي 388-421 _ واستطاع ان يخضع قسما من بلاد الغور التي اعتنقت الإسلام على يده، وخراسان وسجستان واتخذ لنفسه لقب السلطان.

بذلك خضعت ما تعرف الآن بأفغانستان للسلطان محمود الغزنوي الذي بذل جهودا عظيمة في تعميق الحركة الإسلامية في أفغانستان اتخذها قاعدة لفتوحات إسلامية جديدة في بلاد الهند الوثنية ونجح فعلا في نشر الإسلام في أقاليم البنجاب وكشمير.

حكم الغزنويين فترة طويلة تزيد عن القرنين امتدت خلالهم إمبراطوريتهم الواسعة من كشمير إلى كردستان ومن نهر جيحون إلى نهر الجانج، وكان الإسلام هو الذي ابرز هذه الإمبراطورية إلى الوجود وصهر كل سلالات وقبائل أفغانستان في بودقة الإسلام.

اقام الغزنويون أروع المساجد وأعظمها لإقامة الصلاة وتعاليم أصول الدين حتى أصبحت غزنة مركزا للعلوم والآداب نافست بغداد وأصبحت ملتقى العلماء والمفكرين من شتى أنحاء العالم الإسلامي مما يدل على رسوخ قدم الإسلام في البلاد وتعمقه في نفوس الأفغان منذ ذلك الحين حتى الوقت الحاضر.

أما بلاد السند وباكستان لم تكن غريبة عن العرب قبل الإسلام حيث كانت تربطهم معهم علاقات تجارية.

عزم الخلفاء الراشدون والأمويون على فتح تلك البلاد ونشر الإسلام فيها ومما شجع العرب على فتح هذه البلاد سوء الأحوال السياسية والصراعات والحروب المذهبية والعرقية، التي ساهمت بدورها في سرعة انتشار الإسلام، ولكن هذا لا يعني من غير مقاومة للفتح الإسلامي.

بدأت الفتوحات الإسلامية لبلاد السند منذ عهد الخليفة عمر بن الخطاب واستؤنفت في أواخر أيام علي بن أبي طالب (رضي الله عنهما).

استمرت الغزوات حتى أيام الخليفة الوليد بن عبد الملك الذي جهز حملة برية بقيادة محمد بن القاسم الثقفي تساندها البحرية الإسلامية واستولوا على ميناء الديبل (كراتشي حالياً) وأصبحت أول مدينة عربية إسلامية في بلاد السند واسكن فيها أربعة آلاف من العرب.

تواصلت الفتوحات شمالاً وعبروا نهر مهران (السند) وقتل ملك السند وتم فتح مدينة راور عاصمة البلاد واستولوا على مناطق عديدة، استرجع ابن ملك السند العاصمة راور بعد مقتل محمد بن القاسم الثقفي، فضل الخليفة عمر بن عبد العزيز سياسة الدعوة إلى الإسلام بدلاً من سياسة القوة، فأرسل ملوك السند يدعوهم للإسلام على أن يحتفظوا بسطانهم كاملاً ولهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم، فاستجاب الكثيرون لهذه الدعوة، بنى الأمويون مدينتي المنصورة والمحفوظة لتثبيت فتوحاتهم بالبلاد ولتكون حصناً وملجأً لجيوشهم، كما بنى العباسيون مدينة البيضاء.

استمرت تلك البلاد في ولائها في عهد بني أمية وبني العباس، وعندما دب الضعف بالخلافة العباسية انتهز هذه الفرصة بعض الأمراء العرب فأقاموا دويلات إسلامية في بلاد السند أشهرها إمارة المنصورة في الجنوب وإمارة المولتان في الشمال، استمرت بلاد السند على هذا الانقسام حتى جاء محمود الغزنوي الذي استطاع إعادة الوحدة للبلاد وإلحاقها بمملكته الواسعة ودخلت بلاد السند بالإسلام تماماً وأصبحت بلداً إسلامياً خالصاً.

آسيا الوسطى والصغرى والمغول

تقع آسيا الوسطى في قلب قارة آسيا وتمتد من منغوليا حتى بحر الخزر (بحر قزوين) ومن جنوب سيبيريا حتى الهضبة الإيرانية. من أهم شعوب هذه المنطقة المتعددة الأعراق الشعوب التركية والمنغولية ذات الأصل المشترك أما آسيا الصغرى فهي ما تعرف اليوم سياسياً بجمهورية تركيا.

من الشعوب التركية التي اتصل بها الإسلام الأتراك الغربيون الذين سكنوا بلاد ما وراء النهر أي ما يسمى اليوم بتركستان الغربية، والأتراك الشرقيون الذين سكنوا المناطق الواقعة شمال نهر سيحون وشرقه فيما يسمى اليوم بتركستان الشرقية.

من هاتين المنطقتين ظهرت شعوب تركية أسلمت وحسن إسلامها وأدت للإسلام خدمات جليلة وفتحت له آفاقاً جديدة في وسط آسيا وغربها، وأسس بعض منهم دولاً إسلامية مستقلة عن الخلافة العباسية إلا أنها لم تتخلى عن واجباتها في خدمة الإسلام وإعلاء شأنه ومن أهم هذه الدول.

● **دولة القراخانيون:** برزت هذه الدولة في منتصف القرن الرابع الهجري من بين الأتراك الشرقيين التي استولت على بلاد ما وراء النهر ووحدت تركستان الشرقية والغربية في دولة واحدة وقامت بنشر الإسلام في تركستان الشرقية واستطاعوا أن ينشروا الإسلام على جانبي جبال تيان شان حتى حدود الصين ووصلوا إلى بلاد البلقان شمالاً، اصبغوا حكمهم ودولتهم بالمظاهر الإسلامية فاتخذوا لقب "موالي أمير المؤمنين" ونبذوا الأبجدية الايفورية القديمة والتحول للأبجدية العربية، واتخذت ثقافتهم طابعا عربيا إسلامياً واضحاً وازدهرت الثقافة العربية الإسلامية في مدارس ما وراء النهر ووصل تأثيرها حدود الصين، وبذلك أدى القراخانيون دوراً كاملاً في نشر الإسلام.

● **الدولة الخوارزمية:** وهم من الأتراك الغربيين الذين نشروا الإسلام في حوض بحر قزوين وبلاد الخزر عن طريق التجارة.

● **السلاجقة:** وهم من الأتراك الشرقيين عملوا على نشر الإسلام في آسيا الوسطى ومهدوا الطريق لإخوانهم من (الأتراك العثمانيين) للقضاء على دول الروم البيزنطيين ودخول عاصمتهم القسطنطينية عام 857 _ 1453م على يد السلطان محمد الفاتح.

أزداد نفوذ السلاجقة في الدولة العباسية وأصبحوا القوة الكبرى التي تسيطر على الخلافة العباسية وتوجه الحياة الإسلامية لأكثر من قرن من الزمن، تمكنوا من القضاء على معظم البيزنطيين في آسيا الصغرى بعد الانتصار عليهم في معركة ملازكرت (مانزكرت) وأسر الإمبراطور البيزنطي نفسه، كما استطاع السلاجقة إيقاف الزحف البيزنطي لتخوم